

الخصائص الفنية في أشعار حسان بن ثابت

بقلم:

محمد إلهام صالح¹

ilham_shaleh@yahoo.com

Abstrak

Hassan bin Tsabit salah satu penyair andalan Nabi Muhammad Saw dalam melawan penyair orang kafir Makkah, Ia termasuk penyair Mukhadram yaitu penyair yang hidup dua zaman, zaman jahili dan zaman Islam, dengan syairnya, ia mendapatkan bagian rampasan perang padahal ia tidak ikut dalam perang. Nabi dalam banyak hal memanggil Hassan jika nabi kedatangan tamu yang menentang untuk bersyair. Syair Hassan dikenal sangat indah dan tinggi nilai seninya, karena pengaruh syairnya ada beberapa kabilah Arab masuk Islam.

Kata kunci: Syair, Hassan bin Tsabit,

أ. مقدمة

مما لا شك فيه أن الشعر في العصر الجاهلي قد تطور تطوراً فائقاً وبلغ في قمة التقدم والازدهار،² فلما جاء الإسلام كان تقدم الشعر بدأ يتدهور ووصل إلى ما وصل إليه من إنصراف المسلمين عنه لنزول القرآن الكريم وشغل الصحابة في الجهاد،³ ولكن هناك الشعراء الإسلاميين يحتاج إليهم النبي في الدفاع عن الإسلام بلسانهم كأمثال حسان بن ثابت، وكعب بن زهير، وكعب بن مالك الأنصاري وغيرهم.

¹ مدرس تاريخ الأدب العربي بكلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة علاء الدين الإسلامية الحكومية بمكassar رقم جوال: 085255050804 العنوان: Jln Somba Opu 207 (Asdar Art Shop) Makassar

² وهذا التقدم والازدهار نزل القرآن الكريم متحدياً العرب أن يأتوا بمثله ففجزوا بل إنهم سُحروا بجمال وروعة أسلوبه.

³ وسقوط منزلة الشعراء لتكسيهم بالشعر وأمر النبي ترك رواية الشعراء الذين هجوا الإسلام. أنظر الدكتور حسن شاذلي فريهود وإخوانه، الأدب نصوصه وتاريخه، المملكة العربية السعودية: وزارة المعارف، 1396 هجرية-1976 م، ص 123

ومع هذا فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يشجع الشعر الجيد المنطوي على مثل عليا . وكان يستمع إليه ويعجب بما اشتمل عليه من حكمة، حتى لقد قال: " إن من الشعر لحكمة ". ولما استأذن حسان بن ثابت رضي الله عنه في الرد على المشركين أذن له رسول الله (ص). وقال له " اهجهم ومعك روح القدس ".

حسان بن ثابت أشعر الشعراء المخضرمين⁴ وهو شاعر النبي وهو الذي أنشد بأبياته المشهورة استقبال قدوم النبي إلى المدينة المنورة: بطلع البدر علينا من ثنية الوداع، وجب الشكر علينا مادعا لله داع إلخ .

ومن هذه الجمل الوجيزة تعرض الأسئلة: " من هو حسان بن ثابت ؟ كيف كانت أشعاره؟ وهل فيها الخصائص الفنية ؟

ب. حياته ونشأته

هو أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر من قبيلة الخزرج الأزدية اليمانية، هاجرت قبيلته من اليمن إلى شمال الجزيرة العربية فاستقرت هي وأختها الأوس في المدينة وهو من المعمرين عاش مائة وعشرين سنة نصفها في الجاهلية ونصفها في الإسلام⁵. ولد قبيل مولد النبي بسنوات نحو عام 60 قبل الهجرة ونشأ في يثرب وعاش عيشة فتیان الجاهلية المترفين المتحضرين في أسرة ذات شأن في الجاهلية والإسلام، فأبوه صاحب الحكمة في الحرب بين الأوس والخزرج وأخوه أوس بن ثابت شهيد العقبة الكبرى مع سبعين من الأنصار، وأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين.

وقد استشهد أوس يوم أحد ولذلك وجدنا حسان بن ثابت ينحاز وقومه إلى صف معاوية ضد علي رضي الله عنهما ويشد حسان الرجال إلى معاوية فيكرم وفادته ويشترى منه حائطه ببرحاء الذي منحه إياه الرسول ويهبه ألف دينار ومات حسان في عهد معاوية بعد أن كف بصره وجاوز المائة .

نشأ حسان شديد التعصب لقبيلته الخزرج ينافح عنها ويهجو خصومها ولاسيما قبيلة الأوس، وقد كان بينه وبين شاعري الأوس المشهورين قيس بن الخطيم وأبي قيس بن الأسلت مناقضات شعرية كثيرة .

⁴ وهم الذين عاشوا في عصرين فشهدوا الجاهلية والإسلام فهم الذين نظموا الشعر في الجاهلية ثم أسلموا وظلوا ينظمون الشعر . أنظر الدكتور عمر فروخ، المنهج الجيد في الأدب الجديد، بيروت: دار العلم، الطبعة الأولى، دون سنة، ص 89

⁵ الدكتور محمد عبد القادر، دراسات في أدب ونصوص العصر الإسلامي، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى، 1405هـ - 1976م

وكان حسان يختلف في الجاهلية إلى المواسم والأسواق يفرق فيها شعره على النقاد ويقال إنه عرض شعره في سوق عكاظ⁶ على النابغة⁷ فأعجب به وأثنى عليه.⁸

ولما هاجر الرسول إلى يثرب دخل حسان في الإسلام مع من دخل من قومه . ودافع الأوس والخزرج عن الرسول، وقاتلوا أهل مكة ونصروا الرسول فسموا بالأنصار، ثم احتاج الرسول إلى من ينصره على القرشيين بلسانه لأن شعراء قريش كانوا يؤذون الرسول والمسلمين بهجائهم فيقول له حسان: أنا لها، ثم يأخذ الرسول بطرف لسانه ويقول: " والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء " .⁹

ويصبح حسان بفضل دفاعه عن الإسلام شاعر الإسلام وشاعر الرسول، وكان هجاءه للمشركين فيه كثيرا من الفحش والاقذاع، وكانت معانيه جاهلية أكثر منها إسلامية . على أن نصيب حسان من الجهاد كان مقتصرًا على الناحية اللسانية، أما جهاد الحرب في ساحة الوغى فلم تكن لحسان فيه مشاركة فعالة لما عرف به من الجبن لكبر سنه ومع ذلك لا يفخر بشجاعته وببسالته فإذا سمعه الرسول يفخر بهما لم يملك نفسه عن الضحك، وكان يخضب شاربيه وعنقفته ليكون كأنه " أسد والغ في دم " .

وعاش حسان مناضلا بلسانه عن الإسلام والمسلمين، وكانت مآثره في الدفاع عن الإسلام بشعره تغنيه عن المآثر الحربية، ولهذا كان النبي عليه السلام يقسم له في الغنائم بعد عودته من الغزوات كأبي محارب شارك فيها بسيفه . ولما توفي الرسول وقف حسان بجانب قومه الأنصار يدافع عن حقهم في الخلافة، ولكن المهاجرين يستأثرون بالسلطة فيضعف شأن الأنصار ويهمل الخلفاء حسان، ويعرض الناس عن سماع شعره لانشغالهم بأخبار الفتوح . وكان عمر رضي الله عنه ربما سمعه ينشد شعره والناس في مسجد الرسول فيأخذ بإذنه

⁶ كان للعرب أسواق كثيرة في نجد والحجاز واليمن وحضرموت، وأشهر تلك الأسواق ثلاثة هي: سوق عكاظ، سوق مجنة وسوق ذي الحجاز، كان العرب يجتمعون فيها في أوقات معينة ويمتد اجتماعهم فيها من أول ذي القعدة ويستمر إلى أن يتوجهوا إلى الحج . ولم تكن تلك الأسواق للتجارة فحسب . فقد كانت للتحكيم في الخصومات ومفادات الأسرى والتشاور في المهمات والمفاخرة بالشعر والخطب وبث الآراء الإصلاحية من دينية وأخلاقية . وكان من أشهر المحكمين في الشعر النابغة الذبياني، تنصب له خيمة من جلد أحمر في عكاظ ويعرض عليه الشعراء أشعارهم . وكان لتلك الأسواق آثار عظيمة في اللغة العربية والأدب العربي وأهم تلك الآثار أنها عملت على تقريب لهجات القبائل لأن الجميع كانوا يتخاطبون بلغة واحدة ويتعاملون مع تجار قريش وبذلك قويت لهجة قريش حتى كادت تصبح لغة العرب جميعا ثم لما نزل بها القرآن أصبحت لهجة قريش هي المعروفة الآن باللغة العربية الفصحى . انظر الدكتور حسن شاذلي فرهود، المرجع السابق .، ص . 20

⁷ وهو أحد الشعراء السبعة الجاهلين المشهورين الذين كانت أشعاره مكتوبة بماء الذهب معلقة على أستار الكعبة . الدكتور حسن شاذلي فرهود وإخوانه، المرجع السابق .، ص 21

⁸ الدكتور محمد عبد القادر، المرجع السابق .، ص 153

⁹ نفس المرجع .، ص 154

ويقول: أرغاء كرغاء البعير، فيرد عليه حسان بقوله: دعنا عنك يا عمر، فو الله لتعلم أني كنت أنشد في هذا المسجد من هو خير منك فلا يغير علي، فيقول له عمر: صدقت.¹⁰

ج. أشعار حسان أمام الوفود والخصائص الفنية فيها

كان حسان بمثابة المتحدث الرسمي باسم الدين الجديد أمام الوفود التي تفد إلى النبي معلنة إسلامها . ففي عام الوفود بعد فتح مكة قدم وفد بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم عطار بن حاجب بن زرارة، وقيس بن عاصم، وقيس بن الحارث ونعيم بن زيد والأقرع بن حابس في لفهم ولفيفهم (جماعاتهم وأحلافهم من جميع الفروع) ودخلوا المسجد النبوي ونادوا رسول الله صلوات الله وسلامه عليه من وراء الحجرات بأعلى أصواتهم أن اخرج إلينا يا محمد، فتأذى رسول الله من صياحهم وجفوتهم وهم الذين نزل فيهم قوله تعالى¹¹: (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعلمون، ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم، والله غفور رحيم، الحجرات 4-5) فلما خرج إليهم النبي قالوا له: يا محمد جئناك لنفاخرك، فأذن لشاعرنا وخطيبنا فقال: قد أذنت لخطيبكم فليقل فقام عطار بن حاجب ابن زرارة وقال:¹² ... ثم جلس فدعا رسول الله ثابت بن قيس الأنصاري الخزرجي وقال له: قم فأجب الرجل في خطبته، فقام ثابت بن قيس فقال:¹³ ... ثم قام الزبير بن بدر التميمي فقال¹⁴ ... ولما بدأ الزبيراني في أبياته تفقد رسول الله صلى

¹⁰ نفس المرجع .، ص 155

¹¹ انظر القرطبي، تفسير القرطبي .، CD، وابن كثير، ج 26، الحجرات 4-5

¹² " الحمد لله الذى له علينا الفضل وهو أهله الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما ، نفعل منها المعروف، وجعلنا أعز أهل المشرق، وأكثرهم عددا وأشدهم عدة، فمن مثلنا في الناس؟ ألسنة برؤوس الناس وأولى فضلهم؟ فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددناه وأنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ولكن تنحينا عن الإكثار.. وأقول هذا كى تأتوا بمثل قولنا وبأمر أفضل من أمرنا "

¹³ الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه، قضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ولم يكن شئ قط إلا من فعله ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا، واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسا، وأصدقه حديثا، وأفضله حسبا، فأنزل عليه كتابه واتممه على خلقه وكان خيرة من العالمين . الباقية أنظر الدكتور محمد عبد القادر، المرجع السابق .، ص 158

نحن الكرام فلا حى يعادلنا منا الملوك وفينا يقسم الربع وكم قسرنا من الأحياء كلهم عند¹⁴ النهاب وفضل العز يتبع

من الشبواء إذا لم يؤنس القزح ثم ترى الناس تأتينا سراتهم من كل ونحن نطعم عند القحط مطعنا أرض هويا ثم نصطع الربع: أى المرباع، وهو ربع الغنيمة وكان يخصص للقواد والرؤساء . نفس المرجع .، ص 158، القسر: الإكراه، النهاب: الغنائم مفردة تهب. المطعم: الطعام، الشواء: اللحم المشوى، يؤنس: يرى ويعرف، القزح: المطر أى: إذا لم تشاهد الأمطار وحل القحط والجذب نقدم الأطعمة للناس والمراد أنهم أجواد كرماء

الله عليه وسلم حسان فلم يجده فبعث إليه، قال حسان: فلما جاءني رسول رسول الله وأخبرني أنه إنما دعاني لأجيب شاعر بني تميم خرجت إلى رسول الله، وأنا أقول: ¹⁵ قال فلما انتهيت إلى رسول الله (ص): وقال شاعر بني تميم ما قال عرضت في قوله وقلت على نحو مما قال ... فلما فرغ الزريقان بن بدر من قوله، قال رسول الله لحسان: " قم يا حسان فأجب الرجل فيما قال فوقف حسان وارتحل القصيدة العصماء:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم	قد بينو سنة للناس تُتبع ¹⁶
يرضى بها كلُّ من كانت سريرته	تقوى الإله وبالأمر الذي شرعوا ¹⁷
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم	أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
سحجية تلك منهم غير محدثة	إن الخلائق فاعلم شرها البدع ¹⁸
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم	عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا ¹⁹
إن كان في الناس سباقون بعدهم	فكل سبق لأدنى سبقهم تبع ²⁰
ولا يضمنون عن مولى بفضلهم	ولا يصيبهم في مطمع طبع ²¹
لا يجهلون وإن حاولت جهلهم	في فضل أحلامهم عن ذاك متسع ²²

على كل باغ من معدّ وراغمٍ منعناه لما حل بين بيوتنا منعنا رسول الله إذ حل وسطنا ¹⁵
 بجابية الجولان وسط الأعاجم هل الحمد إلا السؤدد العود والندى بحى حريد عزة وثراؤه
 وجاه الملوك واحتمال العظام

¹⁶ " الذوائب " جمع ذؤابة وهى الناصية، أو منبتها من الرأس والمراد السادة والأعيان والعظماء والأشراف .
 "فهر" هو قريش وهو فهر بن غالب بن النضير بن كنانة. " وإخوتهم " هم الأنصار . " السنة " الصورة والسيرة والطريقة وحكم الله وأمره ونهيه.

¹⁷ " السريرة " كالسر ما يكتنم عن الناس وما يستكن في الضمير .

¹⁸ السحجية الغريزة والجبلة . " وغير محدثة " بمعنى أنها وليدة فيهم غير جديدة أى أنها مورثة عن الآباء والأجداد منذ القدم

¹⁹ " يرقع " الثوب من باب منع إذا أصلحه بالرقاع . " وأوهت " خرقت وشققت من اوهى، " والدفاع " الزحام في شئون الحياة وميادينها المختلفة . إن هؤلاء المؤمن الصادقين المخلصين يرفعون من أرادوا ويضعون من أرادوا، ولا يستطيع الناس أن يرفعوا من وضعوه، أو يخفضوا من رفعوه .

²⁰ " سباقون " جمع سباق وهو صيغة مبالغة من "سابق" وهو المتقدم من الناس، أو في الفرس في الحلبة ... و"الأدنى " الأقرب، والأقل مسافة، المراد ليس في الوجود من يسبق هؤلاء الأكارم وليس هناك من يتقدمهم في ميادين الحياة وإن كان في الناس من سباقين إلى الحمد والعلا فإن سبقهم يأتي تاليا وتابعا لسبق هؤلاء القوم .

²¹ " يضمنون " أى ييخل . و "المولى" الموالى والمناصر والمخالف . و"لا يدنسهم " فى موضع " ولا يصيبهم " . و"المطمع " ما يطمع فى تحقيقه وتحصيله من الأمانى الطيبة، وعن بمعنى على . " واطمع " الدنس والعيب والشين

²² والأحلام جمع حلم هو الأناة والعقل . إنهم حكماء حلماء عقلاء يفضلون الريث ويختارون الأناة .

أَعْفَى ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عَقَّتْهُمْ
 كَمٍ مِنْ صَدِيقٍ لَهُمْ نَالُوا كَرَامَتَهُ
 أُعْطُوا نَبِيَّ الْهُدَى وَالْبِرِّ طَاعَتَهُمْ
 إِنْ قَالَ: سَبَرُوا أَجْدًا السَّيْرَ جَهْدَهُمْ
 مَا زَالَ سَبَرَهُمْ حَتَّى اسْتَفَادَ لَهُمْ
 خَذَ مِنْهُمْ مَا أَتَى عَفْوًا إِذَا غَضِبُوا
 فَإِنْ فِي حَرِيحِهِمْ فَاتَرَكَ عِدَاؤَهُمْ
 نَسَمُوا إِذَا الْحَرْبُ نَالَتْهَا مَخَالِبَهَا
 لَا فِخْرَ إِنْ هُمْ أَصَابُوا مِنْ عِدْوِهِمْ
 كَأَنَّهُمْ فِي الْوَعْيِ وَالْمَوْتِ مَكْتَنَعٌ
 لَا يَطْمَعُونَ وَلَا يَزْرِي بِهِمْ طَمَعٌ²³
 وَمَنْ عَدُوٌّ عَلَيْهِمْ جَاهِدْ جَدْعُوا²⁴
 فَمَا وَنِي نَصِيرِهِمْ عَنْهُ وَمَا نَزَعُوا²⁵
 أَوْ قَالَ: عَوْجُوا عَلَيْنَا سَاعَةً رَبَعُوا²⁶
 أَهْلَ الصَّلِيبِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُمْ بَيْعٌ²⁷
 وَلَا يَكُنْ هُمُكَ الْأَمْرَ الَّذِي مَنَعُوا²⁸
 شَرًّا يَخَاضُ عَلَيْهِ الصَّابُ وَالسَّلْعُ²⁹
 إِذَا الزَّعَانِفُ مِنْ أَظْفَارِهَا خَشَعُوا³⁰
 وَإِنْ أَصِيبُوا فَلَا خُورَ وَلَا جَنْزِعٌ³¹
 أُسْدٌ بَيْشَتُهُ فِي أَرْسَاقِهَا فَدَعٌ³²

²³ "أعفة" كأعفاء جمع عف وعفيف وهو من كف عما لا يحل له لا يجمل به . " ويزرى بهم " يعيبيهم ويحقروهم .

²⁴ "الصديق" المحب . و"الجاهد" الشاق على نفسه في عداوتهم . "جدعوا" حبسوا وسجنوا أو قطعوا أنفه، أذنه، أو يده أو شفته . - إن صديقهم يفيد منهم المنعة والقوة والعزة والقرامة وعدوهم يكسب منهم الضعف والهوان والذلة والخذلان .

²⁵ "أعطوا" إنقادوا له، "الهدى" الرشاد والدلالة على الخير، "البر" الصلوة، والخير والاحسان . "الطاعة" الانقياد . "ونى" فتر وبطوء وتأخر. و"النصي" المعاونة والمساعدة و"نزعوا" انفضوا وانصرفوا .

²⁶ "أجدوا" اجتهدوا فيه أو عجلوا، أو لم يهزلوا. و"الجهد" الطاقة والقدرة . و"عوجوا" أمر من عاج أى أقام ووقف. و"ربعوا" وقفوا وانتظروا وتحبسوا ومالوا يصور طاعتهم الكاملة وانقيادهم التام لرسول الله صلوات الله وسلم عليه بأنهم تحت أمرهم ورهن إشارته .

²⁷ "زال" هنا تامة من الزوال بمعنى الذهاب، أى ما تغير سيرهم . و" استفاد " انقاد واستسلم وذل وخضع . و" أهل الصليب " النصارى . و" البيع " جمع بيعة " وهى كنائس اليهود .

²⁸ " العفو " أحلى المال وأطيبه، وخيار الشئ وأجوده، والفضل والمعروف . و" الهم " الحزن .

²⁹ "عداوتهم" معاداتهم ومخاصمتهم. و"يخاض" إذا دخل لجة وخاض الغمرات: إقتحمها . و" عليه " أى فوقه، و" الصاب " على قول القاموس: شجر مر مفرد لها صابة . " السلع " فشجر مر أو ضرب من الصبر أو بقللة خبيثة الطعم .

³⁰ " نسمو " نعلو ونرتفع عن مواطن الذلة والخضوع ونأبى الذلة والخضوع و"مخالب الحرب" أسلحتها، و"الزعانف" جمع زعنفة وهى الأذلون من الناس أو الطوائف الشاذة المنفردة عن قبائلها أو السفلة أو القطعة من الثوب أو أسفله المنخرق . و"ى قواه" مخالبها " و"أظفارها" استعارة مكنية شبه فيها الحرب بالوحش ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشئ من لوازمه وهى المخالب والأظفار .

³¹ " ولا فخر " لا يفخرون إذا انتصروا على عدوهم لأن ذلك طبيعتهم وعاداتهم . " الخور " الضعف . " الجزع " شدة الخوف .

إذا نصبنا لقوم لا ندب لهم
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم
أهدى لهم مدحى قلب يؤازره
فإنهم أفضل الأحياء كلهم

كما يدب إلى الوحشية الذرع³³
إذا تفرقت الأهواء والشيع³⁴
فيما يحب لسان حائك صنع³⁵
إن جد بالناس جد القول أو سمعوا³⁶

1. التعليق على أشعار حسان

تعد قصيدة حسان العينية من روائع ما قيل من شعر في الأدب العربي، وحسب هذه القصيدة أنها قيلت في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم وبتوجيه وطلب منه في موقف تحد وتنافر من وفد بني تميم للإسلام ورسوله الأمين حين جاء مفاخرا بنسبه مباحيا بحسبه، رافعا فوق الرؤوس رأسه، متعاليا على الحياة العربية كلها في دل وكبرياء .

وقد وفق الله حسانا فانفتحت قريحته وجاءت عبقريته بهذه الدرّة الغالية في جبين الدهر فكانت بعد سماعها من وفد مشرك الهداية والنور والدخول في دين الله والاعتراف ببلاغة المسلمين لأن الله يؤيدهم بتوفيقه ونصره وقد اعترف رئيس وفداهم الأقرع بن حابس بقوله: " والله إن هذا الرجل يعني رسول الله لمؤتي له، لخطيبه أخطب من خطيبنا، ولشاعره أشعر من شاعرنا، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا " ³⁷ .

إن سماع الخطبة والقصيدة جعل أفراد الوفد يعلنون إسلامهم، فكان لوقع الكلمات ولبلاغة العبارات، وجيد النظم أطيّب الأثر في نفوسهم .

³² "الوغى" الحرب . "مكتنع" لازم وحتمى وقريب، والتعبير كناية عن اشتداد المعركة ورهبتها . و "بيشة" مأسدة في واد بهذا الاسم في طريق اليمامة . "والأرساغ" جمع "رسغ" وهو المفصل الذى بين الساعد والكف، أو الذى بين الساق والقدم في الإنسان، والموضع الدقيق الذى بين الحافر والوظيف في الحيوان . "القدح" إعوجاج الرسغ وميل قرب المفصل . إتحم في حومة الوغى وساحة القتال حيث الموت يحيط بالفرسان يزارون كأسود بيشة . إعوجت أرساغها بسبب قوتها وقتل عضلات أجسادا .

³³ "نصبنا لقوم" عاديناهم و"ندب" نمشى على مهل وهينة . و"الذرع" الناقة التى يستتر بها الصياد عندما يرمى الصيد والناقة التى تعد لذلك تعود الإختلاط مع الحيوانات التى تصاد حتى تألفها وتأنس إليها .

³⁴ "أكرم" صيغة تعجب فعل ماض على صورة الأمر، و"شيعتهم" الشيعة: أتبع الرجل وأنصاره وفرقته تطلق الذكر والمؤنث مفردا ومؤنثا وجمعا . و"الأهواء" جمع هوى "والمراد الآراء، واتجاهات النفوس

³⁵ و"يؤازره" يعاونه ويسانده . و"حائك" صائغ" و"صنع" حاذق بليغ ويروى "فيما أحب لسان" .

³⁶ "الأحياء" جمع "حى" وهو البطن من بطون القبائل، يريد أفضل القبائل جميعا، وعبر بالجزء عن الكل أو أراد الحقيقة الخاصة وهى البطن دون تجوز . و"جد" ضد هزل و"جد القول" القوا الجادأى الصادق . و"سمعوا" لعبوا أو فرحوا .

³⁷ الدكتور محمد عبد القادر، المرجع السابق . ص 160

وموضوع قصيدة حسان الفخر بصحابة رسول الله الأبرار في مواجهة فخر وفد بني تميم، كما أشاد الشاعر فيها بالنبي الكريم وعشيرته، ومجد حسبه ونسبه وأطرى صحابته وتابعيه . وقد بدأها بمقدمة حدد فيها بإيجاز الإخاء والمودة ثم وصف المؤمنين من الأنصار والمهاجرين الوصف الأمثل فتحدث عن تشريعهم وشجاعتهم وبطولاتهم وعفتهم وكرمهم وتكرمهم لأصدقائهم وجهادهم لعدوهم وطاعتهم لقائدهم والتفاهم حوله واستماعهم إليه حتى خضع أهل الكتاب، وانتشر لواء الإسلام ثم وصف أخلاقهم الحميدة وسجاياهم ثم ختم القصيدة بأن رسول الله هو حزب هذه الجماعة ونصيرهم وشفيعهم وبذلك نالوا أعظم منازل الشرف، وأرفع درجات المجد فهم أفضل الناس طرا، وخير البرية جميعا .

2. الخصائص الفنية فيها

وإذا مضينا إلى الخصائص الفنية في القصيدة فسنجد أن ألفاظ النص ملائمة لما يقتضيه الفخر والجو النفسي وهو التأييد والإعجاب والثناء كالتعبير عن "الذوائب" للدلالة على طبيعة التقوى المتأصلة فيهم ، والتعبير بقوله: " لا خور ولا جزع " للدلالة على قوة التحمل والصبر عند الشدائد ، والتعبير بصيغة المبالغة "سباقون" لإعطاء مدى أوسع في مجال السباق فهو يقارن بين المهاجرين وبين كثيرى السبق من بين الناس الآخرين ليزرر مكائنتهم .

وقد عبر عن الأنصار بقوله "إخوتهم" ليدل على مدى الترابط والتآخي بينهم وبين فخر . كما عبر عن قوتهم وشدّة بأسهم، وتحقيق النصر على أيديهم بقوله: " ضروا عدوهم " وعن العطف على أصدقائهم وتقديم الخبر والمساندة لهم بقوله: "أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا" , غير أن التعبير بقوله: " أو حاولوا"، يضعف المعنى، ويقلل رغبتهم في النفع، ويوحى بأنهم لا يفعلون ذلك طبعاً وسليقة .

ويمتاز أسلوب القصيدة بحسن اختيار الألفاظ، ووضوح المعنى، وهذا أثر من آثار الإسلام فقد بدأت جزالة الألفاظ وفخامتها تختفي في شعر حسان لتحل محلها ألفاظ عذبة رقيقة .

وقد تأثر حسان في قصيدته بأسلوب القرآن الكريم فهو في قوله في البيت الثالث:

قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم أو حاولوا النفع في أشياعهم نفعوا
تأثر حسان في قصيدته بوصف رب العزة للمؤمنين (أشداء على الكفار رحماء بينهم، الفتح
29).

وهو في قوله في البيت التاسع:

أَعِنَّةٌ ذُكِرَتْ فِي الْوَحْيِ عَقَّتْهُمْ لا يطمعون ولا يزرى بهم طَمَعُ

تأثر بقوله تعالى: يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف، تعرفهم بسيماهم، لا يسألون الناس إichافاً- البقرة 273)، والمقصود بالوحي هنا القرآن الكريم .
 كما تأثر حسان في بيته السابع عشر:
 لا فخر إن هم أصابوا من عدوهم وإن أصيبوا فلا حور ولا جنعُ
 بقوله تعالى: (إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً - النساء: 36) وبقوله: فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله- العمران: 146).
 ويتكرر الإلتفات في القصيدة عند حسان وهو فن من البلاغة جميل وذلك كما ورد في الأبيات 16، 17، 19 .

د. الخلاصة

- وبعد أن ألقينا الضوء عن أشعار حسان والخصائص الفنية فيها فتأتى الخلاصات كالضوء الأخير من هذا البحث وهي:
1. حسان بن ثابت أحد الشعراء المخضرمين المشهورين وكانت أشعاره تتضمن الشعر الغنائي لرقتها وسهولتها وبعدها عن الغرابة والتعقيد .
 2. كان حسان شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم في كف هجاء المشركين على الإسلام، وهو لم يكن في أصحاب النبي ولا في أعدائه عند دعوته إلى الله من هو أشعر منه . وكان الرسول يدعو له: " اللهم أيده بروح القدس " وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله: " أمرت عبد الله بن رواحة بهجاء قريش فقال وأحسن، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى " .
 3. كثرة الارتجال في شعر حسان لملاحقة الأحداث السريعة التي كانت تحدث في الحياة الإسلامية خاصة إبان الغزوات وحركة الفتوح الإسلامية لم تتح للشاعر فرصة تجويد عمله الفني، وإعادة النظر فيه بالتنقية كما كان يفعل في العصر الجاهلي .

المراجع

- ضيف، شوقى، العصر الجاهلى، ط 8؛ القاهرة: دار المعارف, 1960
- ضيف، شوقى، الفن ومذاهبه فى الشعر العربى, ط 7؛ مصر: دار المعارف, دون سنة .
- عبد القادر، محمد, دراسات فى أدب ونصوص العصر الإسلامى، ط 1؛ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية, 1405هـ - 1976 م
- فروود، حسن شاذلى والآخرون، الأدب نصوصه وتاريخه، ط 1؛ المملكة العربية السعودية: وزارة المعارف، 1975
- فروخ، عمر، المنهج الجيد فى الأدب الجديد., ط 1؛ بيروت: دار العلم, دون سنة .
- المهاشمى، السيد أحمد, جواهر الأدب فى أدبيات وإنشاء ولغة العرب؛ ج 2؛ القاهرة: دار الفكر، د.س